5

الحياة الاجتماعية في القدس

في العهد العثماني الأخير من 1908 إلى 1914

قاسم عجاج علوان

المقدمة :

تُعدّ مدينة القدس من المدن التي تمتلك أهمية دينية وتاريخية خاصـــة ليس فقط في العالم العربي والإسلامي، بل على الصعيد العالمي أيضًا، بفضل مركزيتها الدينية في الديانات السماوية الثلاث: الإسـلام، المسـيحية، واليهودية. كانت القدس عبر العصـور مسـرحًا للأحداث التاريخية المهمة، ومحل اهتمام الحضـارات المتعاقبة التي سعت للسيطرة عليها. وقد شـهدت المدينة تحولات كبيرة على مر التاريخ، لا سـيما خلال العهد العثماني الذي امتد لعدة قرون وانتهى مع بداية القرن العشـرين. هذا البحث يسـلط الضـوء على الفترة الأخيرة من الحكم العثماني للقدس، وتحديدًا من عام 1908 حتى عام 1914، وهي فترة هامة تميزت بإصـلاحات دسـتورية وتغيرات اجتماعية واسـعة , في عام 1908، أعادت الإمبراطورية العثمانية العمل بالدسـتور، وهو ما أصـبح يعرف باسم "الثورة الدستورية". تلك الإصلاحات جاءت نتيجة لتزايد الضغوط الداخلية والخارجية على الدولة العثمانية، التي كانت تشهد ضعفًا متزايدًا في مؤسساتها المركزية وتراجعات متلاحقة على مختلف الأصـعدة. وقد أثرت هذه الإصـلاحات بشـكل مباشـر على الحياة في القدس، حيث جلبت معها تحولات في النظام الإداري والسياسي، وأعطت مساحة أكبر للتفاعلات الاجتماعية والثقافية بين مختلف شرائح المجتمع المقدسي. [1]

لقد كان المجتمع المقدســـي في ذلك الوقت متعدد الطوائف والأعراق، وهو ما أعطى الحياة الاجتماعية طابعًا مميزًا، حيث عاش المسلمون والمسـيحيون واليهود جنبًا إلى جنب ضـمن نظام حكم عثماني أتاح قدراً من التســـامح الديني. هذا التعايش، رغم وجود بعض التوترات الطائفية، كان يعكس في الوقت ذاته توازن القوى الدينية والاجتماعية في المدينة، الذي حافظت عليه السـلطات العثمانية من خلال نظام الملل الذي منح الطوائف الدينية المختلفة نوعًا من الاسـتقلال الذاتي فيما يتعلق بإدارة شؤونها الداخلية.

من الناحية الاجتماعية، تميزت القدس في العهد العثماني الأخير بتركيبتها الطبقية المتعددة، حيث كانت هناك طبقة النخبة المكونة من المسـؤولين العثمانيين والعائلات الثرية، بالإضـافة إلى طبقة التجار والحرفيين، والطبقة الفقيرة التي ضمت الفلاحين والعاملين في الحقول. لقد كان لهذا التنوع الطبقي أثر كبير على توزيع النفوذ والســـلطة في المدينة، حيث تمكنت الطبقة الثرية من الحفاظ على نفوذها بفضـــل قدرتها على إقامة علاقات وثيقة مع الســـلطات العثمانية، بينما ظلت الطبقة الفقيرة تعتمد على الزراعة والأعمال اليدوية لتأمين قوت يومها.

كما شـهدت الفترة من 1908 إلى 1914 نشـاطاً ملحوظاً في مجالات التعليم والثقافة. مع انتشـار الأفكار القومية وتزايد الاحتكاك مع أوروبا، تأثرت المؤسسـات التعليمية والثقافية في القدس بتلك الأفكار، مما أدى إلى نشوء حركة تعليمية نشطة. افتتحت المدارس الدينية والمدنية التي سعت إلى تعليم الشـباب من مختلف الطوائف. وقد كان التعليم في القدس ينقسـم إلى نوعين رئيسـيين: التعليم الديني الذي كانت تديره المؤسـسـات الدينية لكل طائفة، والتعليم المدني الذي كان يتبناه العثمانيون بهدف تحديث المجتمع وتطوير قدراته العلمية والإدارية.

على الرغم من التعايش النسبي بين مختلف الطوائف في القدس، إلا أن العلاقات بين الطوائف لم تكن دائمًا خالية من التوتر. كان للاختلافات الدينية والثقافية دور كبير في نشوء بعض الصراعات، لا سيما مع تصاعد النزاعات العالمية وتزايد تدخل القوى الاستعمارية الأوروبية في شؤون الإمبراطورية العثمانية. ومع ذلك، فإن السلطات العثمانية كانت تسعى للحفاظ على الاستقرار والتوازن في المدينة من خلال إعطاء الطوائف الدينية درجة معينة من الاستقلال الذاتي، وهو ما ساعد في احتواء الكثير من الصراعات المحتملة. [2]

إشكالية البحث:

يشهد تاريخ القدس في الفترة العثمانية الأخيرة (1908-1914) على تحولات اجتماعية وسياسية هامة. يتمثل الإشكال الرئيسي لهذا البحث في فهم وتحليل الدور الاجتماعي الذي لعبته مختلف الفئات السكانية في القدس خلال هذه الفترة الحاسمة. كيف تفاعلت الطوائف المختلفة في مجتمع متعدد الأديان والثقافات؟ وكيف أثرت الإصلاحات العثمانية السياسية والاقتصادية على النسيج الاجتماعي للمدينة؟ وما هي التغيرات الحياتية التي طرأت على المجتمع المقدسي نتيجة لهذه الإصلاحات؟ يسعى البحث إلى تسليط الضوء على الظروف العثمانية المؤثرة في تلك المرحلة، ودراسة كيفية انعكاس هذه الظروف على الحياة اليومية لسكان القدس بمختلف أطيافهم الاجتماعية والدينية.

أهداف البحث:

1. **تحليل الحياة الاجتماعية في القدس :**يهدف البحث إلى تقديم صورة شاملة عن التركيبة الاجتماعية لسكان القدس في العهد العثماني الأخير، مع التركيز على الطبقات الاجتماعية المختلفة ودور كل منها في الحياة اليومية.

2. **دراسة تأثيرات الحكم العثماني :**تحليل كيفية تأثير الإصلاحات السياسية والإدارية التي طبقتها الدولة العثمانية في هذه الفترة على المجتمع المقدسي، وما إذا كانت هذه الإصلاحات قد ساهمت في تحسين أو تدهور الأوضاع الاجتماعية.

3. **تقييم العلاقات بين الطوائف المختلفة :**دراسة كيفية تفاعل المسلمين والمسيحيين واليهود في القدس خلال تلك الفترة، ومدى تأثير الظروف السياسية والاقتصادية على العلاقات بين الطوائف الدينية.

4. **تحليل الدور الثقافي والتعليمي :**استعراض تأثير الأنشطة الثقافية والتعليمية التي ازدهرت في القدس خلال هذه الفترة، وكيفية انعكاسها على الحياة الاجتماعية للسكان.

المبحث الأول

تمهيد تاريخي

1) الوضع العام في القدس قبل 1908

قبل عام 1908، كانت القدس تعيش في ظل الإمبراطورية العثمانية التي سيطرت عليها منذ عام 1517. طوال هذه الفترة، كانت المدينة تتمتع بمكانة خاصة داخل الدولة العثمانية بسبب أهميتها الدينية العظيمة بالنسبة للمسلمين، المسيحيين، واليهود. ومع ذلك، فإن الفترة العثمانية الطويلة شهدت العديد من التحديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أثرت على الحياة اليومية للسكان. [3]

أ. **الحالة السياسية :**

في القرن التاسع عشر، عانت الإمبراطورية العثمانية من تراجع مستمر في قوتها السياسية والعسكرية نتيجة الحروب المتعاقبة والتوسع الأوروبي في المنطقة. في الوقت ذاته، كانت القدس مركزًا هامًا للحكم العثماني في فلسطين، حيث عيّنت السلطات العثمانية حكامًا محليين لإدارة شؤون المدينة وضمان الاستقرار. ومع ذلك، كانت الحكومة المركزية في إسطنبول تواجه صعوبات في فرض سيطرتها الكاملة على المناطق البعيدة مثل القدس، مما أدى إلى تزايد نفوذ القوى الأوروبية، خاصة بريطانيا وفرنسا وروسيا، التي سعت لحماية مصالحها الدينية والسياسية من خلال تقديم الدعم للطوائف المسيحية المختلفة في المدينة.

التنافس بين هذه القوى الأجنبية أدى إلى تزايد الضغط على السكان المحليين، حيث تنافست الدول الأجنبية على بناء الكنائس والمدارس والمستشفيات في القدس. وقد أثر هذا التنافس بشكل مباشر

على توازن القوى داخل المجتمع المقدسي، حيث أصبح للبعثات التبشيرية الأوروبية دور كبير في تشكيل الرأي العام وتوجيه مسار التعليم والثقافة. (4)

ب. الحالة الاقتصادية:

من الناحية الاقتصادية، كانت القدس تعتمد بشكل رئيسي على الزراعة والتجارة. الأراضي المحيطة بالمدينة كانت مملوكة غالبًا من قبل الأوقاف الإسلامية أو العائلات الثرية التي استغلتها في الزراعة، فيما اعتمد الفلاحون المحليون على زراعة الزيتون والحبوب. ومع ذلك، فإن الإنتاج الزراعي لم يكن كافيًا لتلبية احتياجات السكان، مما أدى إلى اعتماد القدس بشكل كبير على التجارة مع المناطق المجاورة.

البنية التحتية الاقتصادية في القدس كانت متواضعة، حيث كانت الأسواق المحلية تفتقر إلى وسائل حديثة للنقل والتوزيع. هذا الأمر أدى إلى عدم استفادة القدس بشكل كامل من التجارة الدولية التي كانت تنمو في نهاية القرن التاسع عشر. ومع دخول القوى الأوروبية على خط التجارة، بدأت بعض التحولات تحدث في اقتصاد المدينة، حيث قدم الأوروبيون استثمارات في البنية التحتية مثل شبكات الطرق والمستشفيات، ما ساهم في تحسين بعض جوانب الاقتصاد، لكنه زاد أيضًا من نفوذهم. (5)

ت. الحالة الاجتماعية:

من الناحية الاجتماعية، كان المجتمع المقدسي في القرن التاسع عشر عبارة عن فسيفساء من الطوائف المختلفة، حيث عاش المسلمون والمسيحيون واليهود جنبًا إلى جنب داخل أسوار المدينة العتيقة. ورغم وجود اختلافات دينية وثقافية بين الطوائف، إلا أن العثمانيين أداروا المدينة بنظام "الملل"، وهو نظام حكم منح الطوائف الدينية المختلفة نوعًا من الحكم الذاتي لإدارة شؤونها الخاصة، بما في ذلك التعليم والقضاء والمسائل الاجتماعية.

ورغم أن العثمانيين حافظوا على هذا النظام بهدف تجنب الصراعات الدينية داخل المدينة، إلا أن التوترات كانت تظهر من حين لآخر، خاصة في ظل التنافس بين الطوائف المسيحية المختلفة على السيطرة على المقدسات المسيحية. هذه التوترات كانت تغذيها أيضًا المصالح السياسية للقوى الأوروبية التي سعت لحماية الطوائف المسيحية داخل المدينة، مما جعل الوضع أكثر تعقيدًا. (6)

2) الحكم العثماني ودوره في القدس

منذ دخول الدولة العثمانية إلى القدس في عام 1517، أصبحت المدينة جزءًا من إمبراطورية تمتد على ثلاث قارات. ورغم كون القدس مدينة مقدسة تحتضن معالم دينية هامة، لم تكن تمثل مركزًا اقتصاديًا أو سياسيًا حيويًا بالنسبة للعاصمة العثمانية، إسطنبول. ومع ذلك، كانت تحظى بمكانة دينية مرموقة، ما جعلها محط اهتمام السلطان العثماني الذي حرص على حمايتها والحفاظ على استقرارها. (7)

أ. الدور الإداري للحكم العثماني في القدس

القدس كانت تحت حكم "المتصرفية"، وهي وحدة إدارية عُثمانية تُدار من قِبل مسؤول عُثماني يُعرف باسم "متصرف". كانت المتصرفية تخضع مباشرةً للسلطان العثماني عبر الوالي المُعين في دمشق، الذي كان يتولى شؤون فلسطين بشكل عام. في القدس، كان المتصرف مسؤولًا عن إدارة المدينة والإشراف على شؤون السكان، بما في ذلك إدارة النظام الضريبي، الحفاظ على الأمن، والإشراف على العلاقات بين الطوائف الدينية المختلفة.

أحد أبرز مهام المتصرف كان جمع الضرائب، وهي عملية أثرت بشكل كبير على الحياة الاقتصادية في القدس. الضرائب كانت تُفرض على الأراضي الزراعية والأنشطة التجارية، وغالبًا ما كانت تُعتبر عبئًا ثقيلًا على الفلاحين والتجار. وعلى الرغم من ذلك، كان النظام الضريبي العثماني يهدف إلى دعم البنية التحتية المحلية من خلال تخصيص جزء من العائدات للإنفاق على المشاريع العامة، مثل صيانة الطرق وبناء المدارس والمستشفيات. (8)

ب. الحفاظ على الاستقرار والتوازن بين الطوائف

تعد الطبيعة الدينية المتنوعة للقدس أحد التحديات التي واجهتها الإدارة العثمانية. عاش في القدس المسلمون والمسيحيون واليهود، وكل طائفة لها معتقداتها ومؤسساتها الدينية. من أجل الحفاظ على الاستقرار، اتبعت السلطات العثمانية نظام "الملل"، الذي منح كل طائفة دينية نوعًا من الحكم الذاتي لإدارة شؤونها الداخلية. سمح هذا النظام للطوائف الدينية بأن تدير مدارسها الخاصة، ومؤسساتها الدينية، ومحاكمها الشرعية. (9)

هذا النظام كان ناجحًا في كثير من الأحيان في الحفاظ على التعايش بين الطوائف المختلفة في المدينة، حيث تمتع الجميع بقدر من الحرية الدينية. لكن التنافس بين الطوائف المسيحية على السيطرة على الأماكن المقدسة، خاصة كنيسة القيامة، كان يشكل تحديًا مستمرًا للإدارة العثمانية. اضطرت السلطات العثمانية في كثير من الأحيان للتدخل من أجل حل النزاعات بين الطوائف،

وفي بعض الحالات كانت هذه النزاعات تُستغل من قِبل القوى الأوروبية التي كانت تتدخل بحجة حماية مصالح طوائفها الدينية.

ت. التطوير العمراني والبنية التحتية

من الجوانب الهامة لدور الحكم العثماني في القدس هو المحافظة على الأماكن المقدسة وتطوير البنية التحتية للمدينة. السلاطين العثمانيون، وخاصة السلطان سليمان القانوني، كانوا يهتمون كثيرًا بالمحافظة على المسجد الأقصى وقبة الصخرة وغيرها من المعالم الإسلامية الهامة. في عهد سليمان القانوني (1520-1566)، تم ترميم أسوار القدس، وهي الأسوار التي لا تزال قائمة حتى اليوم، وكانت تلك العملية تهدف إلى تعزيز الدفاعات العسكرية للمدينة وحمايتها من أي غزو محتمل. (10)

إلى جانب الاهتمام بالأماكن المقدسة الإسلامية، كان للعثمانيين دور في الحفاظ على المقدسات المسيحية واليهودية. سعى الحكام العثمانيون إلى تجنب الصراعات الدينية من خلال التأكيد على التسامح الديني والتعامل مع جميع الطوائف على قدم المساواة. ورغم أن الاهتمام بالبنية التحتية خارج أسوار المدينة كان محدودًا إلى حد ما، إلا أن المدينة القديمة شهدت تطويرات مهمة، شملت إقامة طرق جديدة وتحسين شبكات المياه.

ث. الدور الديني للإمبراطورية العثمانية

الدور الديني للحكم العثماني في القدس كان مركزيًا في إدارة المدينة. كانت الإمبراطورية العثمانية ترى نفسها على أنها حامية الإسلام والمقدسات الإسلامية، ولهذا السبب، كانت القدس ذات أهمية خاصة بالنسبة للسلطان. كان السلاطين العثمانيون يرون في رعاية القدس والمواقع المقدسة فيها جزءًا من التزاماتهم الدينية. إلى جانب ترميم المسجد الأقصى وقبة الصخرة، عمل العثمانيون على تشجيع الحجاج المسلمين من مختلف أنحاء الإمبراطورية على زيارة القدس، ما زاد من مكانة المدينة ، كان للحكم العثماني تأثير كبير على تنظيم الشؤون الدينية للطوائف غير المسلمة. أتاح نظام الملل للطوائف المسيحية واليهودية الاستقلال في إدارة شؤونها الدينية والاجتماعية، كما سمح بوجود نظام قضائي خاص بكل طائفة، مما سهل التعايش بين مختلف الجماعات الدينية في المدينة. (11)

ج. العلاقة مع القوى الأوروبية

بسبب التنافس بين القوى الأوروبية على السيطرة والنفوذ في الشرق الأوسط، أصبحت القدس ساحة للتدخلات الأجنبية، خاصة من قِبل بريطانيا، فرنسا، وروسيا. هذه القوى كانت تدعم الطوائف المسيحية المحلية لأغراض سياسية، متذرعة بحماية المقدسات المسيحية والمسيحيين. أدى هذا التدخل إلى تعقيد إدارة العثمانيين للمدينة، حيث أصبح عليهم التعامل مع مطالب القوى الأوروبية، إضافة إلى إدارة المدينة والحفاظ على استقرارها.

على الرغم من هذه التحديات، حاول العثمانيون الحفاظ على توازن دقيق بين الطوائف المختلفة والحيلولة دون تصاعد التوترات. ومع ذلك، فإن التدخلات الأجنبية لم تكن دائمًا لصالح الاستقرار، حيث كانت بعض الدول الأوروبية تستخدم النزاعات الطائفية لتعزيز نفوذها داخل القدس.

3) <u>الإصلاحات العثمانية (1908): الدستور العثماني الجديد وتأثيره على المجتمع المحلي</u>

في عام 1908، شهدت الإمبراطورية العثمانية واحدة من أهم المحطات التاريخية في تاريخها الحديث مع إعلان "الثورة الدستورية" أو "ثورة الشباب الأتراك"، التي أعادت العمل بالدستور العثماني لعام 1876. هذه الإصلاحات جاءت في سياق الضغوط الداخلية والخارجية المتزايدة التي كانت تواجه الإمبراطورية، في ظل تراجع قوتها العسكرية والاقتصادية وازدياد النفوذ الأوروبي في الأراضي العثمانية. كان لهذه الإصلاحات، وخاصة إعادة العمل بالدستور، تأثير كبير على المجتمع المحلي في جميع أنحاء الإمبراطورية، بما في ذلك مدينة القدس. [12]

الدستور العثماني الجديد(1876/1908) [13]

الدستور العثماني لعام 1876 كان خطوة غير مسبوقة في تاريخ الإمبراطورية، حيث أدخل نظامًا سياسيًا جديدًا يقوم على إنشاء برلمان يتكون من مجلسين: مجلس الأعيان (مجلس الشيوخ) ومجلس المبعوثان (مجلس النواب)، بالإضافة إلى منح حريات أوسع للمواطنين. إلا أن العمل بهذا الدستور لم يدم طويلًا؛ حيث أوقف السلطان عبد الحميد الثاني العمل به بعد سنتين فقط بسبب تدهور الأوضاع الداخلية والتوترات الخارجية. مع عودة حركة الشباب الأتراك إلى الواجهة في أوائل القرن العشرين، تم إعادة العمل بالدستور في عام 1908، مما أعاد الأمل في إصلاح الدولة العثمانية المتعثرة.

تجديد العمل بالدستور العثماني أدى إلى فتح آفاق جديدة في الإمبراطورية العثمانية على صعيد الإصلاحات الإدارية والسياسية. الدستور الجديد عزز مفهوم المساواة بين جميع المواطنين بغض

النظر عن ديانتهم أو طائفتهم، ووسع نطاق الحريات المدنية، مثل حرية التعبير والصحافة، وقلل من هيمنة الحكم المطلق للسلطان.

تأثير الدستور الجديد على المجتمع المحلي في القدس

1. تعزيز الحريات المدنية والسياسية:

كان للدستور العثماني الجديد تأثير مباشر على الحياة الاجتماعية والسياسية في القدس، حيث سمح بقدر أكبر من الحريات للمجتمع المحلي. قبل الدستور، كانت القدس، مثلها مثل باقي المدن العثمانية، تخضع لحكم مركزي صارم من العاصمة العثمانية، إسطنبول، ولم تكن هناك فرصة تذكر لمشاركة السكان المحليين في الحكم أو اتخاذ القرارات.

مع إعلان الدستور، أصبح بإمكان سكان القدس، بغض النظر عن ديانتهم، انتخاب ممثلين لهم في مجلس المبعوثان، وهو المجلس النيابي الذي كان يشارك في اتخاذ القرارات الكبرى للدولة. هذا التحول كان مهمًا، خاصة في مدينة متعددة الطوائف مثل القدس، حيث كان للمسيحيين واليهود نصيب في المشاركة في العملية السياسية، مما أدى إلى إشراك مختلف مكونات المجتمع في اتخاذ القرار. (14)

2. تعزيز الصحافة وحرية التعبير:

من بين الإصلاحات التي جاء بها الدستور العثماني، كانت حرية الصحافة والتعبير عن الرأي من أبرزها. استفادت القدس من هذه الإصلاحات، حيث شهدت نموًا في الصحافة المحلية. بدأت الصحف والمجلات في نشر مقالات حول القضايا المحلية والعالمية، وأصبحت وسائل الإعلام منبرًا للمثقفين والقادة المحليين للتعبير عن آرائهم. (15)

ازدهار الصحافة ساعد على نشر الوعي السياسي والاجتماعي بين سكان القدس. كما أن النقاشات التي دارت في الصحافة حول القضايا السياسية والاقتصادية، ساعدت على خلق جو من الوعي الجماعي بين السكان حول التحولات التي كانت تمر بها الإمبراطورية العثمانية، وهو ما عزز الشعور بالهوية المحلية وفتح الباب أمام المزيد من النشاطات الثقافية والاجتماعية.

3. تعزيز الحقوق والمساواة بين الطوائف:

من الناحية الدينية، كان للدستور العثماني تأثير كبير على المجتمع المقدسي المتعدد الأديان. قبل عام 1908، كانت المدينة تخضع لنظام "الملل"، الذي كان يمنح الطوائف الدينية المختلفة نوعًا من الاستقلال الذاتي في إدارة شؤونها، لكنه كان أيضًا يضع قيودًا على بعض الحقوق والحريات.

الدستور الجديد جاء ليؤكد على مبدأ المساواة بين جميع المواطنين، بغض النظر عن ديانتهم أو طائفتهم.

هذا التحول ساهم في تعزيز المشاركة السياسية والاجتماعية للطوائف غير المسلمة في القدس، حيث أصبح للمسيحيين واليهود حقوق متساوية مع المسلمين في المشاركة في الانتخابات وتولي المناصب الحكومية. هذا التوسع في الحقوق كان بمثابة خطوة كبيرة نحو تحسين العلاقات بين الطوائف الدينية المختلفة في المدينة.

المبحث الثاني

الحياة الاجتماعية في القدس

البنية الاجتماعية للسكان

كانت مدينة القدس في أواخر العهد العثماني تمثل نموذجًا معقدًا ومتنوعًا من حيث البنية السكانية، إذ سكنها مجموعات متعددة من المسلمين والمسيحيين واليهود، بالإضافة إلى وجود عدد من الأقليات الأخرى مثل الأرمن، الشركس، والسامريين. هذا التنوع الديني والعرقي جعل القدس واحدة من أكثر المدن تعددًا واختلافًا في تركيبتها الاجتماعية، خاصة مع وجود الأماكن الدينية المقدسة التي جذبت الحجاج والزوار من جميع أنحاء العالم. [16]

المسلمون:

كان المسلمون يشكلون الأغلبية في القدس، وهم موزعون بين سكان المدينة القديمة والمناطق المحيطة بها. معظم المسلمين كانوا عربًا يتحدثون اللغة العربية ويمارسون الطقوس الإسلامية في حياتهم اليومية. شكلت العائلات المسلمة الكبيرة، [17] مثل عائلة الحسيني والنشاشيبي، جزءً

أساسيًا من النخبة الاجتماعية والسياسية في المدينة، وكانت تسيطر على الكثير من الشؤون الإدارية والاقتصادية، وتدير العلاقات مع السلطة العثمانية.

المسيحيون: [18]

شكل المسيحيون في القدس نسبة كبيرة من السكان، وقد توزعوا بين عدة طوائف مختلفة، مثل الأرثوذكس، الكاثوليك، البروتستانت، والأرمن. كانت الطوائف المسيحية تتمتع بدعم قوي من القوى الأوروبية التي كانت ترعى مصالحها في المدينة، مثل فرنسا،[19] روسيا، وبريطانيا. هذا

الدعم انعكس في بناء الكنائس والمدارس والمؤسسات الخيرية التي خدمت المجتمع المسيحي المحلي، وعززت مكانته في القدس.

اليهود: [20]

كان المجتمع اليهودي جزءًا مهمًا من النسيج الاجتماعي في القدس، وكان يعيش في الأحياء اليهودية داخل المدينة القديمة وحولها. شهدت القدس خلال القرن التاسع عشر تدفقًا ملحوظًا للمهاجرين اليهود من أوروبا، وخاصة من روسيا، مما أدى إلى زيادة عددهم بشكل كبير. كان المجتمع اليهودي متنوعًا من حيث الأصل، حيث كانت هناك مجموعات من السفارديين الذين

الأقليات الأخرى: [21]

عاشت في القدس أيضًا أقليات أخرى مثل الأرمن، الذين أسسوا حيًا خاصًا بهم يُعرف بـ"الحي الأرمني". الأرمن كانوا يشكلون جزءًا من الحياة الدينية والثقافية في المدينة، حيث كانت لهم كنائس ومدارس خاصة بهم. كذلك، كان هناك الشركس الذين جاءوا من القوقاز بعد تهجيرهم على يد الروس، وقد اندمجوا في المجتمع المحلي رغم احتفاظهم ببعض تقاليدهم الخاصة.

تأثير الهجرة والاستيطان

شهدت القدس في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين موجات من الهجرة، خاصة مع تزايد النشاط الصهيوني الذي شجع الهجرة اليهودية إلى فلسطين. هذه الهجرة غيرت من البنية السكانية للمدينة، حيث زاد عدد اليهود بشكل ملحوظ، وبدأت تظهر محاولات لتوسيع الحي اليهودي واستيطان مناطق جديدة خارج أسوار المدينة القديمة.

جاءوا من الدول العربية والإسلامية، وكذلك الأشكناز الذين جاؤوا من أوروبا الشرقية.

الطبقات الاجتماعية في القدس

خلال الفترة العثمانية الأخيرة (1908-1914)، كانت القدس تتميز بتنوعها الاجتماعي والاقتصادي الكبير. فقد انقسم المجتمع المقدسي إلى طبقات اجتماعية مختلفة، تتراوح بين النخبة السياسية والاقتصادية التي كانت تمارس نفوذًا كبيرًا في شؤون المدينة، وصولًا إلى عامة الناس الذين كانوا يشكلون الأغلبية. كان هذا التقسيم الاجتماعي معقدًا ويعكس العلاقات الطائفية والاقتصادية التي سادت في القدس خلال هذه الفترة، حيث كانت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين واليهود تلعب دورًا حاسمًا في تحديد المواقع الاجتماعية والاقتصادية لكل فئة.

1. **النخبة السياسية والإدارية**

تشكلت النخبة السياسية في القدس بشكل رئيسي من المسؤولين العثمانيين والممثلين المحليين للطوائف المختلفة. هؤلاء الأفراد كانوا يتمتعون بالسلطة والنفوذ، وكان لهم دور كبير في إدارة شؤون المدينة والحفاظ على النظام والاستقرار. النخبة العثمانية الحاكمة كانت تضم شخصيات مثل "المتصرف" العثماني، وهو الحاكم المحلي للقدس الذي يمثل السلطة العثمانية المركزية في المدينة. [22]، كان هناك نخبة محلية من الشخصيات السياسية والعائلات الكبيرة التي كانت تلعب دورًا مهمًا في إدارة المدينة. ومن بين أبرز هذه العائلات عائلتي الحسيني والنشاشيبي، اللتين تنافستا على النفوذ السياسي في القدس. كانت هذه العائلات تمتلك أراضٍ زراعية كبيرة وتسيطر على التجارة، مما أعطاها نفوذًا اقتصاديًا وسياسيًا كبيرًا. هذه النخبة المحلية كانت أيضًا تمثل المدينة في مجلس المبعوثان العثماني بعد إصلاحات 1908، مما زاد من قوتها السياسية. [23]

2. النخبة الاقتصادية

إلى جانب النخبة السياسية، كانت هناك نخبة اقتصادية تتألف من التجار الكبار وأصحاب الأعمال الذين سيطروا على التجارة والصناعة في القدس. هذه النخبة ضمت أفرادًا من مختلف الطوائف الدينية في المدينة. على سبيل المثال، كان للمسلمين العديد من العائلات الثرية التي تعمل في تجارة الحبوب والزيتون، وهما من المنتجات الزراعية الرئيسية في المنطقة. بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك عائلات مسيحية بارزة تعمل في مجالات التجارة، وخاصة في استيراد وتصدير البضائع، مستفيدة من العلاقات القوية مع القوى الأوروبية التي كانت تدعمها.

فيما يتعلق باليهود، كان هناك بعض التجار الأثرياء الذين شاركوا في النشاط الاقتصادي، وخاصة في تجارة السلع الفاخرة والحرف اليدوية. وقد ازدادت ثروة بعض اليهود نتيجة الهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية، حيث جلب المهاجرون معهم مهارات جديدة في التجارة والصناعة، مما ساعد على تعزيز النفوذ الاقتصادي لليهود في القدس.

النخبة الاقتصادية كانت تعتمد بشكل كبير على التجارة مع المناطق المحيطة، حيث كانت القدس تُعتبر نقطة تجمع رئيسية للتجار من مختلف أنحاء فلسطين والدول المجاورة. الأسواق المحلية كانت تضم منتجات زراعية وحرفية من إنتاج القرى المحيطة، بالإضافة إلى السلع المستوردة من أوروبا والشرق الأوسط. هذا النشاط التجاري كان يوفر وظائف للكثير من سكان القدس، ولكنه كان أيضًا يركز الثروة في أيدي عدد قليل من العائلات. [24]

3.الطبقة المتوسطة

ظهرت في القدس طبقة متوسطة صغيرة نسبياً، تتألف من المهنيين، مثل الأطباء، المحامين، المدرسين، والموظفين الحكوميين. هذه الطبقة لعبت دورًا هامًا في تطوير المجتمع المدني في القدس، حيث كانت تضم أفرادًا متعلمين ومثقفين يسعون إلى تحسين الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمدينة. وكان لهذه الفئة دور في الحركة الإصلاحية التي شهدتها القدس في نهاية العهد العثماني، حيث دعمت التعليم والتطورات الثقافية. (25)

أفراد هذه الطبقة كانوا يتمتعون بمستوى معين من الرفاهية، حيث كانوا قادرين على إرسال أبنائهم إلى المدارس الخاصة أو إلى الخارج لتلقي التعليم. كما شاركوا في إنشاء مؤسسات اجتماعية وثقافية مثل النوادي الأدبية والجمعيات الخيرية التي سعت إلى تحسين أوضاع الفقراء وتعزيز التعليم.

الطبقة المتوسطة في القدس لم تكن متجانسة، بل كانت تضم أفرادًا من مختلف الطوائف. كان للمسيحيين واليهود حضور قوي في هذه الطبقة، حيث كانوا يديرون مدارس ومستشفيات وجمعيات خيرية تخدم مجتمعاتهم. في الوقت نفسه، كان للمسلمين أيضًا دور بارز في تطوير الطبقة المتوسطة، خاصة من خلال الأنشطة التعليمية والإصلاحية التي دعمتها النخبة المحلية.

4.عامة الناس والفلاحون

كانت الطبقة الأكثر عددًا في القدس هي طبقة عامة الناس، التي شملت الفلاحين، العمال، والحرفيين. غالبية سكان القدس كانوا يعيشون في ظروف اقتصادية صعبة، حيث اعتمدوا على الزراعة والتجارة البسيطة لكسب قوتهم. الفلاحون كانوا يزرعون الحبوب والزيتون في الأراضي المحيطة بالمدينة، بينما كان الحرفيون يعملون في الصناعات اليدوية مثل صناعة الفخار، النسيج، والأخشاب.

الطبقة العاملة في القدس كانت تعاني من الفقر والبطالة، خاصة في ظل التنافس الشديد على الموارد الاقتصادية المتاحة. العديد من السكان كانوا يعتمدون على المساعدات الخيرية التي تقدمها المؤسسات الدينية والخيرية، وخاصة المؤسسات المسيحية التي كانت تديرها البعثات الأوروبية. (26)

الفلاحون كانوا يشكلون جزءًا كبيرًا من سكان القدس وضواحيها، وكانوا يعتمدون على الزراعة التقليدية في حقول الزيتون والقمح والشعير. على الرغم من أن الأراضي الزراعية كانت تمتلكها

في الغالب العائلات الثرية أو الوقف الديني، إلا أن الفلاحين كانوا يعملون في زراعة هذه الأراضي ويعتمدون على محصولها لتأمين معيشتهم. هذا الاعتماد على الزراعة جعل من الفلاحين طبقة ضعيفة اقتصاديًا، حيث كانوا عرضة للتقلبات المناخية والاقتصادية.

5. النساء في المجتمع المقدسي

النساء في القدس كنّ جزءًا لا يتجزأ من المجتمع، ولكن دورهن كان يعتمد بشكل كبير على الطبقة الاجتماعية والطائفة التي ينتمين إليها. في الأوساط النخبوية، كانت النساء تشارك في الحياة الاجتماعية والثقافية من خلال تنظيم الجمعيات الخيرية وحضور الفعاليات الثقافية. العديد من النساء النخبويات كنّ متعلمات ويشاركن في النشاطات الثقافية، وقد ساهمن في تشكيل الجمعيات الخيرية التي دعمت الفقراء والمحتاجين في المدينة. [27]

أما بالنسبة لعامة النساء، فكانت حياتهن تدور حول الأسرة والعمل المنزلي. النساء في الطبقات العاملة كن يشاركن في الزراعة والأعمال اليدوية لتأمين دخل إضافي للعائلة. في بعض الأحيان، كانت النساء تعملن في الأسواق المحلية ببيع المنتجات الزراعية والحرفية.

العلاقات الاجتماعية: تفاعل الطوائف وتعايش المسلمين والمسيحيين واليهود في القدس

في الفترة العثمانية الأخيرة (1908-1914)، كانت القدس مدينة متعددة الأديان والثقافات، حيث عاش المسلمون والمسيحيون واليهود جنبًا إلى جنب. هذا التعدد الديني والعرقي كان أحد السمات البارزة للمجتمع المقدسي، وشكل تحديات وفرصًا للتعايش بين الطوائف المختلفة. كانت العلاقات الاجتماعية في القدس معقدة، تتأثر بعوامل عدة، من بينها التدخلات الخارجية، والضغوط السياسية، والتغيرات الاقتصادية، بالإضافة إلى الروابط الدينية التي كانت تجمع أو تفصل بين هذه الطوائف.

1) التفاعل الاجتماعي بين الطوائف [28]

كانت الطوائف الثلاث الرئيسية في القدس – المسلمون، المسيحيون، واليهود – تتفاعل مع بعضها البعض في العديد من المجالات. هذا التفاعل كان يحدث بشكل رئيسي في الأسواق والمجالات الاقتصادية، حيث كان التجار من جميع الطوائف يتعاملون بشكل يومي. الأسواق كانت نقطة التقاء أساسية بين الطوائف، حيث يتم تبادل السلع والخدمات، ويُعتبر هذا المجال الاقتصادي واحدًا من الجوانب التي ساعدت على خلق نوع من التعايش اليومي بين السكان.

في الحياة اليومية، كان التفاعل بين الطوائف يشمل أيضًا الجوانب الاجتماعية الأخرى، مثل العلاقات بين الجيران. على الرغم من أن كل طائفة كانت تسكن في أحياء خاصة بها في الغالب، إلا أن الأحياء لم تكن مغلقة تمامًا، وكانت هناك تفاعلات اجتماعية بين الأفراد عبر الزيارات والعلاقات العائلية. كانت بعض المناسبات الدينية تُشكل فرصة للتفاعل بين الطوائف، حيث كانت تُقام الاحتفالات الدينية التي يحضرها أفراد من طوائف أخرى كمشاركة اجتماعية.

2) نظام "الملل" ودوره في التعايش [29]

إحدى الآليات التي ساعدت على تنظيم العلاقات بين الطوائف في القدس كانت نظام "الملل" العثماني. هذا النظام منح الطوائف الدينية قدرًا من الحكم الذاتي، مما سمح لها بإدارة شؤونها الدينية والتعليمية والقضائية بشكل مستقل. كل طائفة كانت تدير محاكمها الخاصة وتطبق قوانينها الدينية على أعضائها في الأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية مثل الزواج والطلاق والميراث.

نظام الملل ساعد على الحد من الصدامات بين الطوائف المختلفة، حيث قلل من الاحتكاكات المباشرة في المسائل الحساسة المتعلقة بالدين والقضاء. رغم ذلك، لم يكن هذا النظام خاليًا من التوترات، حيث كانت بعض الطوائف تشعر بالتمييز مقارنة بالطوائف الأخرى، خاصة في ما يتعلق بالحقوق السياسية أو الاقتصادية.

3) التوترات الطائفية

على الرغم من أن التعايش بين الطوائف كان سمة مميزة للقدس، إلا أن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين واليهود لم تكن دائمًا خالية من التوتر. التدخلات الخارجية، وخاصة من قبل القوى الأوروبية مثل بريطانيا وفرنسا وروسيا، زادت من حدة هذه التوترات. كانت القوى الأوروبية تدعم الطوائف المسيحية بشكل مباشر، مما أدى إلى تعزيز مواقعها في المدينة. هذا الدعم أدى أحيانًا إلى خلق حالة من الامتعاض لدى المسلمين، الذين شعروا بأن مكانتهم تتراجع مقارنة بالطوائف الأخرى. [30]

4) كما أن الهجرة اليهودية إلى القدس من أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين زادت من التوترات بين المسلمين واليهود. مع تزايد أعداد اليهود في المدينة، بدأ النزاع حول الأراضي والممتلكات يتصاعد، مما أدى إلى زيادة الاحتكاك بين الطائفتين. رغم هذه التوترات، لم تكن هناك صراعات دموية كبيرة خلال هذه الفترة، حيث حافظت الإدارة العثمانية على نوع من الاستقرار بفضل نظامها الإداري الصارم.

دور الأماكن المقدسة في تعزيز التعايش

كانت القدس مدينة مقدسة للأديان الثلاثة، وهذا ما جعلها مكانًا مميزًا للتعايش رغم التوترات. الأماكن المقدسة كانت تُشكل نقاط تواصل بين الطوائف، حيث كان المسلمون يزورون المسجد الأقصى وقبة الصخرة، والمسيحيون يؤدون شعائرهم في كنيسة القيامة، واليهود يتعبدون عند حائط البراق. [31]

على الرغم من أن كل طائفة كانت تحتفظ بقدسيتها الخاصة، إلا أن هذه الأماكن المقدسة كانت أيضًا رمزًا مشتركًا للتاريخ الطويل للمدينة، وساهمت في تعزيز شعور بالتعايش. ومع ذلك، كانت المنافسة على إدارة هذه الأماكن المقدسة تُشكل أيضًا سببًا للتوتر، خاصة بين الطوائف المسيحية المختلفة التي تنافست على السيطرة على كنيسة القيامة، وبين المسلمين واليهود حول حقوق الوصول إلى حائط البراق

المبحث الثالث

النشاطات الاقتصادية والثقافية

الأنشطة الاقتصادية في القدس

كانت الأنشطة الاقتصادية في القدس خلال الفترة العثمانية الأخيرة (1908-1914) تعتمد بشكل أساسي على الزراعة، التجارة، والحرف اليدوية. كانت هذه القطاعات الاقتصادية الثلاثة تشكل العمود الفقري للاقتصاد المحلي في القدس وتلعب دورًا محوريًا في دعم حياة سكان المدينة. وبسبب الموقع الجغرافي للمدينة وأهميتها الدينية، كان للاقتصاد المقدسي طابع مميز يعتمد على الحركة المستمرة للحجاج والزوار، مما ساهم في تنمية التجارة والحرف اليدوية المرتبطة بالاحتياجات الدينية. [32]

1. الزراعة

رغم أن القدس نفسها ليست منطقة زراعية بالدرجة الأولى نظرًا لطبيعتها الجغرافية، إلا أن الأراضي المحيطة بالمدينة كانت تعتمد على الزراعة في تأمين الغذاء والمواد الخام. كانت الزراعة مصدر رزق للعديد من الفلاحين الذين عاشوا في القرى القريبة من القدس. من أهم المنتجات الزراعية التي اشتهرت بها المنطقة كانت الحبوب مثل القمح والشعير، إضافة إلى الزيتون الذي كان يُعتبر محصولًا أساسيًا في المناطق الجبلية المحيطة بالقدس.

الزراعة لم تكن فقط مصدرًا للغذاء، بل كانت أيضًا جزءًا من الاقتصاد التجاري، حيث كان يتم تصدير بعض المنتجات الزراعية إلى المدن المجاورة. كان الزيتون، والزيت المنتج منه، من

السلع الرئيسية التي يتم تصديرها، بالإضافة إلى الحبوب والفواكه. الأوقاف الإسلامية كانت تسيطر على جزء كبير من الأراضي الزراعية، وكان يتم تأجير هذه الأراضي للفلاحين للعمل عليها. [33]

2. التجارة

التجارة كانت العنصر الأهم في الاقتصاد المقدسي نظرًا لموقع المدينة كمركز ديني يستقطب الحجاج والزوار من مختلف أنحاء العالم. أسواق القدس كانت تعج بالنشاط التجاري اليومي، حيث كان التجار يبيعون ويشترون البضائع التي تشمل منتجات زراعية، سلعًا حرفية، وأدوات دينية. كانت التجارة المحلية تعتمد بشكل كبير على تلبية احتياجات السكان المحليين والحجاج، الذين كانوا يشكلون جزءًا كبيرًا من الاقتصاد الموسمي للمدينة.

الأسواق الرئيسية في القدس مثل "سوق خان الزيت" و"سوق القطانين" كانت مراكز حيوية للتجارة اليومية. كانت هذه الأسواق تبيع كل شيء من المنتجات الزراعية المحلية إلى السلع المستوردة من الخارج. تجارة السلع الدينية كانت من أهم جوانب التجارة في القدس، حيث كان الحجاج يشترون الأيقونات الدينية، السجاد، والتذكارات المتعلقة بالأماكن المقدسة. هذا النشاط التجاري كان يساهم في تعزيز الاقتصاد المحلي ويجذب التجار من مختلف المناطق. [34]

3. الحرف اليدوية

كانت الحرف اليدوية أيضًا جزءًا لا يتجزأ من الاقتصاد المقدسي. كانت القدس معروفة بصناعاتها الحرفية مثل صناعة الأقمشة، التطريز، صناعة الفخار، وصياغة المعادن. كانت هذه الحرف تعتمد بشكل كبير على الطلب المحلي والدولي، حيث كانت تُصنع العديد من المنتجات الحرفية لتلبية احتياجات السكان المحليين والزوار، كانت صناعة السجاد والمجوهرات تحظى باهتمام كبير، خاصة بين السياح والحجاج. الحرف اليدوية كانت تُعتبر جزءًا من التراث الثقافي للمدينة، وكان الحرفيون المقدسيون يعملون على توريث هذه المهارات من جيل إلى جيل.

الخشب المحفور والأعمال الزخرفية كانت من الصناعات الحرفية المميزة في القدس. كانت هناك طلبات دائمة على هذه المنتجات نظرًا للاهتمام الكبير بالأعمال اليدوية في الأماكن الدينية، حيث كانت تُستخدم في تزيين المساجد والكنائس. صناعة الفخار كانت أيضًا مزدهرة، حيث تم إنتاج الأواني الفخارية والأدوات المنزلية التي كانت تُباع في الأسواق المحلية.

تأثير النشاطات الاقتصادية على المجتمع [35]

النشاطات الاقتصادية في القدس لم تكن فقط مصدرًا للرزق، بل كانت أيضًا جزءًا من الحياة الاجتماعية والثقافية للمدينة. الأسواق كانت أماكن للتفاعل الاجتماعي بين مختلف الطوائف الدينية، حيث كان التجار من المسلمين والمسيحيين واليهود يعملون جنبًا إلى جنب. كما أن التجارة مع الخارج ساعدت في تعزيز الروابط بين القدس والمناطق الأخرى داخل الإمبراطورية العثمانية وخارجها، ما جعل المدينة جزءًا من شبكة تجارية أوسع، ساهمت هذه النشاطات في تحسين مستوى المعيشة لبعض فئات المجتمع، خاصة الطبقة الوسطى التي استفادت من التجارة والحرف. ومع ذلك، كانت الفجوة الاقتصادية بين الطبقات واضحة، حيث كانت النخبة الاقتصادية تسيطر على جزء كبير من الثروة، بينما كانت الطبقة العاملة والفلاحون يعانون من الفقر وتدني مستويات المعيشة.

الحياة الثقافية في القدس: التعليم ودور المؤسسات الثقافية والدينية

في الفترة العثمانية الأخيرة (1908-1914)، كانت الحياة الثقافية والتعليمية في القدس جزءًا مهمًا من نسيج المجتمع المقدسي. تأثرت المدينة بشكل كبير بالتغيرات السياسية والاجتماعية التي شهدتها الإمبراطورية العثمانية، بما في ذلك الإصلاحات الدستورية. التعليم والحياة الثقافية في القدس كانت تنعكس بشكل مباشر على السكان، حيث لعبت المؤسسات الثقافية والتعليمية دورًا هامًا في تعزيز الهوية المقدسية وتقوية الروابط بين أفراد المجتمع، خاصة في ظل التعدد الديني والعرقي. [36]

1. تأثير الحياة الثقافية والتعليمية على السكان

كانت الحياة الثقافية والتعليمية في القدس غنية ومتنوعة، حيث كانت تتأثر بالانفتاح على العالم الخارجي بفضل تزايد التدخلات الأوروبية والنشاطات التبشيرية، بالإضافة إلى التأثيرات العثمانية الإصلاحية. بدأت الصحافة المحلية في النمو خلال هذه الفترة، مما ساهم في نشر الأفكار الثقافية الجديدة والنقاشات الفكرية حول قضايا محلية وعالمية. الصحافة، بالإضافة إلى الأنشطة الأدبية والثقافية، أسهمت في تعزيز الوعي الثقافي والسياسي بين سكان المدينة.

التعليم :شهدت القدس خلال هذه الفترة ازدهارًا في النظام التعليمي، حيث افتتحت العديد من المدارس التي تهدف إلى تعليم أبناء الطوائف المختلفة. كان التعليم يلعب دورًا محوريًا في نشر الوعي الثقافي، وكان يرتبط بشكل وثيق بمؤسسات دينية لكل طائفة. المدارس الإسلامية والمسيحية واليهودية كانت تقدم برامج تعليمية تركز على اللغة والدين، ولكن مع بداية القرن

العشرين، بدأت المدارس الحديثة في إدخال مواد علمية أخرى مثل الرياضيات، العلوم، والتاريخ. [37]

تزايد النشاط التعليمي لم يكن محدودًا بالذكور فقط، بل امتد ليشمل الفتيات، خاصة في المدارس المسيحية واليهودية التي كانت تديرها البعثات التبشيرية الأوروبية. هذه المدارس ساعدت في رفع مستوى التعليم بين النساء، مما ساهم في تعزيز دورهن في المجتمع.

التعليم في القدس لم يكن مجرد وسيلة لاكتساب المعرفة، بل كان أيضًا وسيلة لتعزيز الهوية الثقافية والدينية لسكان المدينة. من خلال المناهج التي تُدرّس في المدارس المحلية، تم تعزيز الانتماء الطائفي والهوية الدينية لكل مجموعة، مما ساهم في تقوية الروابط داخل الطوائف المختلفة. [38]

الصحافة والحركة الأدبية :إلى جانب التعليم، لعبت الصحافة الناشئة دورًا مهمًا في الحياة الثقافية بالقدس. بدأت الصحف المحلية في نشر مقالات حول القضايا السياسية والاجتماعية التي تهم السكان. الصحافة ساهمت في نشر الأفكار الثقافية والتوعية بحقوق المواطنين في ظل الإصلاحات العثمانية. كما أنها كانت وسيلة للتفاعل مع الأحداث العالمية والتعرف على الأفكار الجديدة التي كانت تنتشر في أجزاء أخرى من الإمبراطورية العثمانية.

كما كانت الصحافة جزءًا من حركة أدبية نشطة، حيث بدأت تظهر كتابات أدبية وشعرية تعبر عن التحديات التي تواجه المجتمع المقدسي. هذا النشاط الأدبي ساعد في تطوير الهوية الثقافية المقدسية، حيث بدأ المثقفون يعبرون عن انتمائهم للمدينة ويتفاعلون مع قضاياها المحلية. [39]

2. دور المؤسسات الثقافية والتعليمية في تعزيز الهوية المقدسية

المؤسسات الثقافية والتعليمية كانت تلعب دورًا محوريًا في تعزيز الهوية المقدسية والحفاظ على التوازن بين الطوائف المختلفة. كانت المدارس والمؤسسات الثقافية، التي تديرها كل طائفة على حدة، تعمل على تعزيز الروابط الاجتماعية والثقافية بين أعضائها. من خلال الأنشطة التعليمية والثقافية، ساهمت هذه المؤسسات في نقل التراث الديني والثقافي من جيل إلى جيل، مما ساعد في الحفاظ على التقاليد والهوية الخاصة بكل طائفة.

المدارس والمؤسسات التعليمية :كانت المدارس الإسلامية والمسيحية واليهودية في القدس تُعتبر مؤسسات رئيسية لتعليم الأجيال الشابة. هذه المؤسسات لم تكن فقط مراكز تعليمية، بل كانت أيضًا مراكز ثقافية تلعب دورًا في الحفاظ على التراث الديني واللغوي لكل مجموعة. التعليم في

هذه المدارس كان يشمل تعليم اللغة العربية أو العبرية، إلى جانب دراسة الدين، مما ساعد على تعزيز الهوية الطائفية في مجتمع متعدد الأديان مثل القدس.

الجمعيات الثقافية والخيرية :كما ظهرت في القدس جمعيات ثقافية وخيرية تديرها النخبة المحلية، كان لها دور كبير في تعزيز الحياة الثقافية وتوفير الدعم الاجتماعي للسكان. بعض هذه الجمعيات كانت تقدم خدمات اجتماعية مثل توفير الرعاية الصحية والتعليم للفقراء، بينما كانت جمعيات أخرى تعمل على تعزيز الثقافة والأدب من خلال تنظيم الندوات والمحاضرات. هذه الجمعيات كانت تمثل وسيلة للتفاعل الاجتماعي بين مختلف الطبقات والطوائف في القدس، وساهمت في تطوير الوعي الثقافي والهوية المقدسية المشتركة.

3. دور المؤسسات الدينية في النشاطات الاجتماعية والتعليمية [40]

المؤسسات الدينية لعبت دورًا مركزيًا في الحياة الاجتماعية والثقافية في القدس خلال الفترة العثمانية. كون القدس مدينة مقدسة للأديان الثلاثة، كانت المؤسسات الدينية تحتل مكانة كبيرة في المجتمع، حيث كانت تسيطر على العديد من جوانب الحياة الاجتماعية والتعليمية.

المساجد والمدارس الإسلامية :كانت المساجد في القدس تلعب دورًا مزدوجًا كأماكن للعبادة والتعليم. كان المسجد الأقصى يُعتبر مركزًا هامًا للتعليم الإسلامي، حيث كان الطلاب يتلقون فيه دروسًا في الشريعة والفقه والتفسير. بالإضافة إلى ذلك، كانت المدارس الملحقة بالمساجد تُعتبر جزءًا من النظام التعليمي الإسلامي الذي يهدف إلى تعليم الشباب المسلمين. هذه المؤسسات ساعدت في الحفاظ على الهوية الإسلامية للمدينة، ونقل المعرفة الدينية عبر الأجيال. [41]

الكنائس والمؤسسات المسيحية :الكنائس المسيحية في القدس كانت تقوم بدور محوري في الحياة الاجتماعية والثقافية للطوائف المسيحية. الكنائس كانت تنظم المناسبات الدينية والاجتماعية، وكانت تدير العديد من المدارس والمستشفيات التي تخدم المجتمع المسيحي. العديد من هذه المؤسسات كانت مدعومة من البعثات التبشيرية الأوروبية التي كانت تعمل على تقديم الخدمات الاجتماعية والتعليمية للفقراء والنساء. [42]

المدارس والمعابد اليهودية :المجتمع اليهودي في القدس كان يدير مدارسه الخاصة، التي كانت تركز على التعليم الديني، بما في ذلك دراسة التوراة والتلمود. كانت المدارس اليهودية تهدف إلى تعليم الأطفال اليهود العلوم الدينية، إلى جانب بعض المواد العلمية الأخرى. المؤسسات الدينية اليهودية كانت تلعب دورًا هامًا في تنظيم الحياة الاجتماعية لليهود في القدس، وكانت تعمل على تقديم الدعم الاجتماعي للفقراء من خلال جمعيات خيرية.

4. التأثير الاجتماعي للمؤسسات الدينية

بالإضافة إلى دورها التعليمي، كانت المؤسسات الدينية في القدس تلعب دورًا اجتماعيًا كبيرًا. كانت هذه المؤسسات تُعتبر مراكز لتقديم الدعم الاجتماعي للمحتاجين، حيث كانت تقدم الغذاء، المأوى، والرعاية الصحية للفقراء والمحتاجين. كما أن المؤسسات الدينية كانت تساهم في تنظيم الحياة الاجتماعية من خلال إقامة المناسبات الدينية التي كانت تجمع أفراد الطائفة، مما ساهم في تعزيز الروابط الاجتماعية بين سكان القدس. (43)

المؤسسات الدينية كانت أيضًا مكانًا لحل النزاعات الاجتماعية داخل الطائفة، حيث كانت المحاكم الدينية تتعامل مع قضايا الأحوال الشخصية مثل الزواج والطلاق والميراث. هذا الدور الاجتماعي للمؤسسات الدينية ساهم في تعزيز الاستقرار الاجتماعي داخل الطوائف المختلفة، وجعلها جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية لسكان القدس.

الخاتمة :

في ختام هذا البحث يمكن القول إن هذه الفترة كانت مفصلية في تاريخ المدينة وشهدت تحولات جذرية على مختلف الأصعدة. القدس، بمكانتها الدينية الكبيرة كمركز للأديان السماوية الثلاثة، شكلت نموذجًا فريدًا للتعايش بين المسلمين والمسيحيين واليهود، رغم وجود توترات متفرقة ناجمة عن التدخلات الخارجية والصراعات الطائفية.

كانت البنية الاجتماعية في القدس متعددة ومعقدة، حيث تفاعلت الطوائف المختلفة مع بعضها البعض ضمن نظام "الملل" العثماني الذي منحها استقلالية في إدارة شؤونها الدينية والتعليمية. أسهم هذا النظام في خلق نوع من التوازن النسبي داخل المدينة، حيث حافظ المسلمون، المسيحيون، واليهود على مؤسساتهم الدينية والتعليمية، مما ساعد في تقوية هويتهم الطائفية والثقافية. ومع ذلك، لم تكن العلاقات بين الطوائف دائمًا مستقرة، خاصة في ظل النفوذ المتزايد للقوى الأوروبية التي دعمت الطوائف المسيحية بشكل خاص، مما أدى إلى توترات بين المجتمعات الدينية.

الطبقات الاجتماعية في القدس كانت منقسمة بين نخبة سياسية واقتصادية تمثلت في العائلات الكبيرة والمسؤولين العثمانيين الذين كانوا يسيطرون على السلطة والثروة، وبين طبقة متوسطة صغيرة تضم المهنيين والتجار. أما غالبية السكان فكانت من الطبقات العاملة والفلاحين الذين اعتمدوا على الزراعة والحرف اليدوية لتأمين معيشتهم. لعبت هذه الطبقات دورًا أساسيًا في تشكيل الحياة اليومية في القدس، حيث أسهمت الأنشطة الزراعية والحرفية في دعم الاقتصاد

المحلي، فيما كانت الأسواق المركزية مثل سوق القطانين وسوق خان الزيت محورًا للتفاعل الاقتصادي بين الطوائف المختلفة، شهدت القدس في هذه الفترة نموًا ملحوظًا في التعليم والمؤسسات الثقافية. كانت المدارس الدينية والتعليمية الخاصة بكل طائفة تلعب دورًا كبيرًا في نقل المعرفة وتعزيز الهوية الثقافية والدينية. إلى جانب ذلك، أسهمت الصحافة المحلية والنوادي الثقافية في نشر الأفكار الجديدة وتعزيز التفاعل الفكري بين سكان المدينة. كان التعليم يُعد وسيلة قوية لترسيخ الهوية الطائفية، حيث ساعد على نقل القيم الثقافية والدينية من جيل إلى جيل.

من جانب آخر، كانت المؤسسات الدينية في القدس محور الحياة الاجتماعية والتعليمية. المساجد، الكنائس، والمعابد اليهودية لم تكن مجرد أماكن للعبادة، بل كانت مراكز للتعليم وتقديم الدعم الاجتماعي للفقراء والمحتاجين. هذا الدور الاجتماعي للمؤسسات الدينية أسهم في تعزيز التماسك الداخلي لكل طائفة، كما ساعد في الحفاظ على استقرار المدينة في وجه التحديات السياسية والاقتصادية.

باختصار، كانت الحياة الاجتماعية في القدس خلال العهد العثماني الأخير تتسم بتعددية دينية وثقافية واجتماعية معقدة. على الرغم من التوترات الطائفية والنزاعات الناتجة عن التدخلات الخارجية، نجحت المدينة في الحفاظ على نوع من التعايش المستقر بين الطوائف المختلفة. لعبت المؤسسات التعليمية والدينية دورًا كبيرًا في تعزيز الهوية الثقافية لكل مجموعة، وساهمت في توطيد الروابط بين سكان المدينة. تركت هذه الفترة أثرًا دائمًا على البنية الاجتماعية للقدس، وشكلت الأساس لما سيأتي لاحقًا من تحولات سياسية واجتماعية في تاريخ المدينة.

المصادر

- انظر: محمد بهجت القبيسي، القدس مملكة السماء، في: صحيفة الوطن السورية ، دمشق، العدد(632) 2009/4/23، ص74.
- انظر الموسوعة العربية، المجلد الخامس عشر، دمشق،2006، ص 190.
- نجلاء دنورة, ندوة حوارية عن القدس في التاريخ في صحيفة الثورة, دمشق, العدد 13817 , 2009/1/19 ص 63
- إبراهيم الأسود، كتاب الرحلة الامبراطورية في الممالك العثمانية، تقديم خيري الذهبي، منشورات وزارة الثقافة- دمشق 2008، ص50.
- سهيل زكار، القدس في التاريخ من العصر المملوكي حتى العصر الحديث، الجزء السادس، منشورات القيادة الشعبية- طرابلس،2000، ص25.
- عبد الجليل عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، عمّان 1981، ص110.
- ( ) كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، دار سطور للنشر- القاهرة، 1998، ص 412.
- ( ) عبد الرحمن العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل- عمان1973، ج2، ص 124
- ( ) عمر سعادة، فلسطين في التاريخ الإسلامي، دمشق، دار الفكر2008، ص 110.

- ( ) حسن الحسيني، تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، دراسة وتحقيق سلامة النعيمات، عمان 1985، ص 25.
- ( ) إحسان الدين أوغلو ، الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية صالح سعداوي، عمَّان، ط1، 1991، ص 250.
- ( )مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل عمَّان 1973، ج2، ص 222.
- ( )صلاح الدين المنجد، المخطوطات العربية في فلسطين، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1972، ص 31.
- ( )نبيه عبد ربه, التلاقي المبارك في القدس, مجلة المعارج, العدد 107, ص 68.
- أحمد سامح الخالدي, رحلات من دمشق إلى القدس, تقديم خيري الذهبي – وزارة الثقافة, دمشق 2009, ص25.
- عارف العارف, تاريخ الحرم القدسي 1361 هـ - 1947م, تقديم خيري الذهبي, وزارة الثقافة – دمشق 2009, ص13-15, والموسوعة العربية, م12, ص 600.
- المصدر نفسه ص 625
- أحمد بن عبد الله القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة المطبعة الأميرية، 1920.ص 65
- العارف عارف ، المسيحية في القدس ، دون طبعة ، دون دار النشر ، القدس ، 1951 م. ص42
- حسن الحسيني، تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، دراسة وتحقيق سلامة النعيمات، عمَّان 1985. ص 86
- زياد المدني، مدينة القدس وجورها 1800-1830 ، منشورات بنك الأعمال، عمَّان 1996. ص 33
- حسن شيوخي حلمي ولاء ، القدس خلال الحرب العالمية الأولى 1914 1918 م، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الخليل 1437 ه/ 2016 م. ص 35
- نعمة الله إبراهيم محمد عبد اللطيف ، الرملة في أوآخر العهد العثماني 1846 1917 م، مذكرة للحصول عل ى درجة الماجستير في التاريخ ، الجامعة الإسلامية ، غزة فلسطين ، / 2004 م ص 63
- تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر ، الطبعة 4 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1412 ه/ 1991 م ص 25
- مناع عادل ، أعلام فلسطين في أوآخر العهد العثماني) 1800 1917 م(، الطبعة 8، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ابريل 1990 م. ص 158
- مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، بيروت، دار الطليعة 1971، الجزء العاشر- القسم الثاني. ص 61
- البرغوثي عمر الصالح وخليل طوطح ، تاريخ فلسطين ، دون طبعة ، جامعة القدس المفتوحة ، عمان الأردن ، 2009 2010 م. ص 26
- نضال علما، الترجمة الفلسطينية ومطابعها المقدسية في: المعارج العدد (117) بيروت 2008. ص 66
- حرب حمد. (2012). العثمانيون في التاريخ والحضارة (المجلد 1). دمشق: دار القلم ص 94
- كامل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، عمَّان 1981 ص33
- شوقي شعث, القدس الشريف, تقديم خيري الذهبي, وزارة الثقافة – مشق 2009 ص 120
- السوافيري كامل ، الأدب العربي المعاصر في فلسطين 1860 1960 م، دون طبعة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1979 م.
- عبد الرحمن العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل، عمَّان 1973 ص48
- العريسي عبد الفتاح ، جذور القضية الفلسطينية ، الطبعة 8، دار الحسن للطباعة والنشر ، بيت خليل الرحمن ، 1992 ص 48.
- المسيري عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد 4، الطبعة 4، دار الشروق ، القاهرة ، 1999 م.
- عيسى القدومي، الأرشيف العثماني وكنوز تاريخ القدس في: المعارج (العدد 117) بيروت2008 ص 97
- مناع عادل، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800 - 1918)م ،ط2، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1995 .ص 78
- النمر احسان، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، مطبعة النصر التجارية، 1961 ص 121

- الجبوري هيثم محيي طالب – عبد الجبوري زينب حسن، أثر حركة الاصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المأخر، مجلة جامعة بابل، المجلد،23 العدد3 ، د د، 2015 ص 99
- بن براك فداء فهد بن عبيد، غزة وجوارها (1850-1914)م ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، 2014 ص 150
- مصطفى عبد الغني، معجم مؤرخي التاريخ العربي الحديث والمعاصر، ج،2 دار الجوهرة، القاهرة، مصر، 2014 . ص 69
- رافق عبد الكريم، فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلاي الى العام 1226ه/ 1918م، الموسوعة الفلسطينية، ج،2 القسم الثاني، بيروت، 1990 .
- شوقي شعث, القدس الشريف, تقديم خيري الذهبي, وزارة الثقافة – دمشق 2009 ص 47

---

[1] انظر: محمد بهجت القبيسي، القدس مملكة السماء، في: صحيفة الوطن السورية ، دمشق، العدد(632) 2009/4/23، ص74.

2 انظر الموسوعة العربية، المجلد الخامس عشر، دمشق،2006، ص 190.

3 نجلاء دنورة, ندوة حوارية عن القدس في التاريخ في صحيفة الثورة, دمشق, العدد 13817 , 2009/1/19 ص 63

4 إبراهيم الأسود، كتاب الرحلة الامبراطورية في الممالك العثمانية، تقديم خيري الذهبي، منشورات وزارة الثقافة– دمشق 2008، ص50.

5 سهيل زكار، القدس في التاريخ من العصر المملوكي حتى العصر الحديث، الجزء السادس، منشورات القيادة الشعبية– طرابلس،2000، ص25.

6 عبد الجليل عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس، عمّان 1981، ص110.

(7) كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، دار سطور للنشر– القاهرة، 1998، ص 412.

(8) عبد الرحمن العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل– عمان1973، ج2، ص 124

(9) عمر سعادة، فلسطين في التاريخ الإسلامي، دمشق، دار الفكر2008، ص 110.

(10) حسن الحسيني، تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، دراسة وتحقيق سلامة النعيمات، عمان 1985، ص 25.

(11) إحسان الدين أوغلو ، الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية صالح سعداوي، عمّان، ط1، 1991، ص 250.

(12)مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل عمّان 1973، ج2، ص 222.

(13)صلاح الدين المنجد، المخطوطات العربية في فلسطين، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1972، ص 31.

(14)نبيه عبد ربه, التلاقي المبارك في القدس, مجلة المعارج, العدد 107, ص 68.

15 أحمد سامح الخالدي, رحلات من دمشق إلى القدس, تقديم خيري الذهبي – وزارة الثقافة, دمشق 2009, ص25.

16 عارف العارف, تاريخ الحرم القدسي 1361 هـ – 1947م, تقديم خيري الذهبي, وزارة الثقافة – دمشق 2009, ص13–15, والموسوعة العربية, م12, ص 600.

17 المصدر نفسه ص 625

18 أحمد بن عبد الله القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة المطبعة الأميرية، 1920.ص 65

19 العارف عارف ، المسيحية في القدس ، دون طبعة ، دون دار النشر ، القدس ، 1951 م. ص42

20 حسن الحسيني، تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، دراسة وتحقيق سلامة النعيمات، عمّان 1985. ص 86

21 زياد المدني، مدينة القدس وجورها 1800–1830 ، منشورات بنك الأعمال، عمّان 1996. ص 33

22 حسن شيوخي حلمي ولاء ، القدس خلال الحرب العالمية الأولى 1914 1918 م، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الخليل 1437 هـ/ 2016 م. ص 35

23 نعمة الله إبراهيم محمد عبد اللطيف ، الرملة في أوآخر العهد العثماني 1846 1917 م، مذكرة للحصول عل ى درجة الماجستير في التاريخ ، الجامعة الإسلامية ، غزة فلسطين ، / 2004 م ص 63

24 تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر ، الطبعة 4 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1412 هـ/ 1991 م ص 25

25 مناع عادل ، أعلام فلسطين في أوآخر العهد العثماني) 1800 1917 م(، الطبعة 8، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ابريل 1990 م. ص 158

26 مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، بيروت، دار الطليعة 1971، الجزء العاشر– القسم الثاني. ص 61

27 البرغوثي عمر الصالح وخليل طوطح ، تاريخ فلسطين ، دون طبعة ، جامعة القدس المفتوحة ، عمان الأردن ، 2009 2010 م. ص 26

28 نضال علما، الترجمة الفلسطينية ومطابعها المقدسية في: المعارج العدد (117) بيروت 2008. ص 66

29 حرب حمد. (2012). العثمانيون في التاريخ والحضارة (المجلد 1). دمشق: دار القلم ص 94

30 كامل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، عمَّان 1981 ص33

31 شوقي شعث, القدس الشريف, تقديم خيري الذهبي, وزارة الثقافة – مشق 2009 ص 120

32 السوافيري كامل ، الأدب العربي المعاصر في فلسطين 1860 1960 م، دون طبعة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1979 م.

33 عبد الرحمن العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل، عمَّان 1973 ص48

34 العريسي عبد الفتاح ، جذور القضية الفلسطينية ، الطبعة 8، دار الحسن للطباعة والنشر ، بيت خليل الرحمن ، 1992 ص 48.

35 المسيري عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد 4، الطبعة 4، دار الشروق ، القاهرة ، 1999 م.

36 عيسى القدومي، الأرشيف العثماني وكنوز تاريخ القدس في: المعارج (العدد 117) بيروت2008 ص 97

37 مناع عادل، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800 – 1918)م ،ط2، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1995 ص 78.

38 النمر احسان، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، ج2، مطبعة النصر التجارية، 1961 ص 121

39 الجبوري هيثم محيي طالب – عبد الجبوري زينب حسن، أثر حركة الاصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المأخر، مجلة جامعة بابل، المجلد23، العدد3 ،. د د، 2015 ص 99

40 بن براك فداء فهد بن عبيد، غزة وجوارها (1914–1850)م ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، 2014 ص 150

[41] مصطفى عبد الغني، معجم مؤرخي التاريخ العربي الحديث والمعاصر، ج2، دار الجوهرة، القاهرة، مصر، 2014 . ص 69

[42] رافق عبد الكريم، فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلاي الى العام 1226ه/ 1918م، الموسوعة الفلسطينية، ج2، القسم الثاني، بيروت، 1990 .

[43] شوقي شعث, القدس الشريف, تقديم خيري الذهبي, وزارة الثقافة – دمشق 2009 ص 47